أمنمحات الثاني (١٩٣٨–١٩٠٣ق.م)

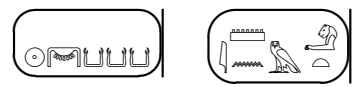

(١) مجمل أعماله

انفرد «أمنمحات الثاني» بالملك بعد وفاة والده «سنوسرت الأول»، وكان عندما تولى العرش مشتركًا مع والده، قد اتخذ لنفسه لقب «نب كاو رع»؛ أي الواحد الذهبي لأرواح إله الشمس.

وتدل الآثار المكشوفة إلى الآن، التي وصلت إلينا من عهده، على أن عصره كان عصر هدوء وسلام، وأنه لم يقُم بأعمال جسيمة في الفتوح والغزوات، كما أنه لم يُنسب إلى عهده شيء من المباني العظيمة الخالدة، وذلك لا يعني أن عهده خلا من الأعمال الجليلة التي سارت بسفينة البلاد نحو التقدم والوحدة التي كانت الغرض الأسمى لفراعنة هذه الأسرة، فقد أظهر نشاطه العظيم في إرسال البعوث العديدة إلى مختلف نواحي ممتلكاته لاستخراج المعادن من جبالها الغنية بها، أو لتهدئة الأحوال في الجهات التي حدثت فيها اضطرابات، كما أرسل البعوث للبلاد الأجنبية بقصد التجارة ونشر الحضارة المصرية، هذا إلى أنه أقام مباني عدة للآلهة في مختلف جهات القطر، غير أنها لم تضارع ما قام به والده وجده.

(١-١) بعوثه إلى سينا

فمن أهم أعماله ما أظهره من نشاط في شبه جزيرة سينا؛ إذ أرسل بعثتين لاستخراج المعادن والأحجار الكريمة، وقد أرِّخت الأولى بالسنة الرابعة من حكمه على لوحة وجدت في هذه الجهة. وكذلك وجدت نقوش أخرى تدل على أنه أرسل بعثة ثانية مؤرَّخة في السنة الرابعة والعشرين، وهذه النقوش قد حُفرت على صخرة بالقرب من مخزن مياه «سرابة الخادم»، وتدل على أنه فتح منجمًا جديدًا في هذا المكان لم يكن معروفًا من قبل، ونصها:

> السنة الرابعة والعشرون من حكم جلالة ملك الوجهين القبلي والبحري «أمنمحات الثاني»، منجم حفره صديق الفرعون الحقيقي، وضابط البحارة المسمى «مين»، وأمه «موت» المرحوم.

وقد عثر في هذه الجهات على تمثالين صغيرين من عهد هذا الفرعون، وعلى تسعة ألواح منقوشة فضلًا عن ذلك (Gardiner and Peet, Sinai, pls. XVI, XIX–XXII, Petrie, Sinai, Fig. 130)

يضاف إلى ذلك أن «ساحتحور» أحد الموظفين المجدِّين في هذا العصر، يحدِّثنا أن الفرعون قد أرسله في عدَّة بعوث كما سنذكر بعد؛ إحداها لزيارة أرض المناجم في شبه جزيرة «سينا»، وكذلك عثر على الجزء الأسفل من تمثال جالس للإلهة «حتحور» سيدة الفيروز وحارسة المعدنين في هذه الجهات، وقد قدَّمه لها الضابط الأكبر للأسطول ويسمى «سنفرو». (Breasted, A. R., Vol. I, Par. 599).

(١-٢) آثاره في مختلف جهات القطر

ونجد لهذا الفرعون نقوشًا عدة في مختلف جهات القطر تدل على نشاطه في إقامة المباني، ففي «أسوان» عثر على نقوش عدة محفورة على الصخور، مما يدل على أنه كان يقطع حجر الجرانيت من هذه الجهة، وأهمها نقش مؤرخ بالسنة الرابعة عشرة (Weigall, History” Vol. II, P. 75)“، وفي وادي الحمامات عثر على اسم «أمنمحات الثاني» في مناجم «حجر البرشيا» الشهيرة الواقعة في الصحراء الشرقية (Murray, “Handbook”, P. 826).

وكذلك وجد اسمه منقوشًا في محاجر المرمر بجهة «حتنوب»، وفي إقليم الحجر الرملي القريب من جبل السلسلة وجد اسمه منقوشًا هناك، وأرِّخ النقش بالسنة السابعة عشرة من حكمه (Frazer “Hatnub”, XV, 11) (Ibid, 512).

(١-٣) البعوث إلى محاجر صحراء النوبة

وقد أرسل هذا الفرعون البعوث إلى محاجر صحراء النوبة الغربية التي كُشف عنها حديثًا لاستحضار حجر الديوريت والجرانيت فقد عثر له على لوحة في المحاجر الجنوبية لهذه الجهة مصنوعة من الديوريت الأسود، ولكن مما يؤسف له أن هذه اللوحة قد وُجدت نقوشها متآكلة وممحوَّة؛ مما يصعب معه حل رموزها، وكل ما يمكن حله في نقوشها أن الذي كان على رأس البعثة أمير، وأن الغرض من إرسالها هو إحضار حجر «منتت» من مكان يسمى «نخنت» (؟).

وكذلك أرسل «أمنمحات الثاني» بعوثًا إلى «وادي الهودي»، وقد وصلتنا لوحة من عهده غير مؤرخة، وقد أقامها رئيس البعثة المسمى «سنببو»، ويحمل لقب رئيس الخزانة، ونقش عليها ما يأتي:

> ملك الوجه القبلي والوجه البحري «خع كاو رع» عاش أبد الآبدين محبوب «حتحور» سيدة الجمشت (حسمن)، قريب الملك الحقيقي ومحبوبه وساكن قلبه رئيس الخزانة، وهو الذي وضعته «سبك رع» ورب الاحترام.

والذي استولى على قلب الملك باختراق الصحاري (في البعثة) التي قام بها لسيده بتفوِّق «سنببو» رب الاحترام.» ولدينا لوحة أخرى من هذا المكان، غير أن معظم كتاباتها قد مُحيت، وهي منحوتة من الحجر الرملي، ويرجع عهدها إلى السنة السادسة من الحكم المشترك لهذا الفرعون، وابنه «سنوسرت الثاني» (هاتان اللوحتان لم تُنشرا بعد).

ومن الغريب أنه قد عُثر على نقش لأمير من عهد هذا الفرعون في سد وادي «العنقابية الراويانه»، وهذا السد يقع على بُعد سبعة كيلومترات في أعالي النهر، وفي الجهة الجنوبية الشرقية عند النقطة التي يقطع فيها الوادي طريق «مصر–السويس» في الكيلومتر الثاني والعشرين، وهذا النقش قد حُفر على وجه السد (صخرة)، غير أنه قد تآكل ولم يبقَ فيه إلا جزء من طغراء الفرعون، ولقب الأمير هو «كاهن عين شمس

الأعظم»، وهذا اللقب لم يعثر عليه في الدولة الوسطى قط إلا هذه المرة، ولا نعلم لوجود هذا النقش في هذا المكان من سبب حتى الآن. (A. S., Vol. XXXIII, P. P. 1–5, Pl, 1).

(١-٤) بعوثه إلى بلاد بنت

ومن أهم البعثات التي أرسلها في عهده إلى الخارج وتعتبر تجديدًا في نشاط هذه الأسرة، البعثتان اللتان أرسلهما إلى بلاد «بنت»، أما البعثة الأولى فقد وجدت نقوشها في وادي «جاسوس» على شاطئ البحر الأحمر على لوحة موجودة الآن في «النوك كاسل» Alnwick Castle بإنجلترا، وقد عثر عليها الرحالة «برطون» (Birch, "Alnwick", Pl. III, P. 268).

ولهذه اللوحة أهمية خاصة؛ إذ عرفنا منها اسم الميناء التي كانت تستعمل كثيرًا لقيام البعوث إلى «سينا» وإلى بلاد «بنت»، وهذه اللوحة تعزى إلى حامل الختم الفرعوني ومدير مخازنه المسمى «خنتخاتي ور»، وقد كان غرضه إحضار العطور والروائح الذكية، ونشاهد على هذه اللوحة صورة الفرعون «أمنمحات الثاني» يقرِّب الشراب للإله «مين» سيد «قفط»، وأسفل هذا المنظر نرى «خنتخاتي ور» نفسه رافعًا ذراعه تعبدًا للإله، ويلي ذلك النقوش وهي: تقديم المديح الإلهي، والشكر من الأمير الوراثي والحاكم وحامل خاتم الفرعون ورئيس قاعة المحكمة «خنتخاتي ور» إلى الإله «حور» والإله «مين» رب «قفط»، وذلك بعد وصوله مع جيشه سالمًا من «بنت» غانمًا مظفرًا، وسفنه قد رست في «سواو» (وادي جاسوس)، في السنة الثامنة والعشرين من حكم هذا الفرعون.

أما الحملة الثانية فكانت في السنة الأولى من اشتراك «سنوسرت الثاني» مع والده «أمنمحات الثاني» بقيادة شريف يُدعى «خنوم حتب»، وقد ذكر تاريخها على لوحة وجدت في «وادي جاسوس» على ساحل البحر الأحمر، وهي موجودة الآن في قلعة «النوك»؛ والظاهر أن الحملات إلى هذه الجهات كانت عديدة ويقول «ويجول» (Weigall, Guide 246) في دليله عن آثار الوجه القبلي: إنه قد ذكر في قبر «خوي» بأسوان، ويرجع تاريخه إلى هذا العصر تقريبًا، وكذلك في قبر شريف آخر يُدعى «ثثي» أنهما زارا «سوريا» وبلاد «بنت» إحدى عشرة مرة (Sethe, "Urkunden", Vol. I, 140).

انظر كذلك «برستد» (Breasted, A. R., Vol. I, Par. 361) حيث يعزى هذا النقش إلى الأسرة السادسة، ولكن هذا الرأي فيه شك كبير.

(أ) أهمية البعوث إلى بلاد بنت

والواقع أن إرسال الفرعون «أمنمحات الثاني» الحملات إلى «بنت» تلك البلاد النائية الواقعة بجوار بلاد «الصومال» الحالية له أهمية عظيمة؛ إذ يدل على أن هذا الفرعون كان يريد مجاراة أجداده القدامي في هذه البعوث التي سبقه إليها «سحورع» و«اسسي» و«بيبي» من ملوك الدول القديمة، و«سنعنخ كارع» من ملوك الأسرة الحادية عشرة، ولا شك في أن الرحلة إلى هذه البلاد النائية كانت في وقت ما شاقة خطرة؛ إذ كان على رجالها أن يخترقوا الصحراء حتى يصلوا إلى البحر الأحمر. وبعد ذلك كان لا بد من بناء السفن اللازمة لحمل رجال البعثة، وفي أراضي الصحراء القاحلة الجرداء يلاقون قبائل العرب الرحل الذين تعوَّدوا السلب والنهب، يجولون طلبًا للسطو على أية غنيمة. وبعد ذلك كانت تقلع البعثة عدة أيام متجهة جنوبًا محاذية الشاطئ الخالي من السكان، وفي نهاية المطاف كان عليهم أن ينزلوا عند قوم من الناس غاية في السذاجة غير معروفين لهم، فيتجرون معهم، ثم يحملون عند عودتهم المرَّ والأصماغ ذات الروائح الذكية. وتدل شواهد الأحوال على أن السياحة إلى بلاد «بنت» العجيبة كانت مما يثير الدهشة والإعجاب؛ حتى إن رجال القصص قد ألفوا سلسلة قصص عن المخاطرات التي كان يلاقيها المسافر إلى هذا القطر الغريب، وقد وصلت إلينا واحدة من هذه القصص وهي «قصة الغريق»، التي يرجع تاريخها إلى هذا العصر، وهي تذكرنا بقصة «السندباد البحري» في «ألف ليلة وليلة»، وبطل هذه القصة الطريفة يقلع في سفينة طولها ١٢٠ ذراعًا وعرضها ٤٠ ذراعًا وبها ١٢٠ من خيرة البحارة المصريين، وقد أرسل هذه البعثة الملك إلى أرض الإله (أي بلاد بنت) ليحضر بعض النفائس منها، ولكنهم لم يفلحوا في مهمتهم فرجعوا بالخيبة بعد أن لاقوا في الطريق أهوالًا عظيمة، وصلوا بعدها إلى الوطن سالمين. ثم تستمر القصة في سرد قصة أخرى، فاستمع إلى ما جاء فيها.

قصة الغريق

يقول تابع حاذق: «كن فرحًا أيها الأمير، انظر! لقد وصلنا إلى مقر الملك، وقد أخذت المطرقة ودُقت أوتاد المرسى، وأُلقيت حبالها على البر، وكان الثناء والشكر لله، وقد عانق كل فرد زميله، وقد وصل ملاحونا سالمين أصحاء، ولم نفقد من جنودنا أحدًا، وقد وصلنا إلى أقصى «واوات» ومررنا «بسنموت»، تأمل! لقد عدنا بسلام ووصلنا إلى بلادنا.»

أصغ إليَّ أيها الأمير، إنني فرد خلو من المبالغة، اغسل نفسك، وصب الماء على أصابعك، وأجب عندما تُحيَّا، وتكلم إلى الملك وأنت مالك لشعورك، وأجب في غير تلعثم، وإن فم الإنسان هو الذي ينجيه، وكلامه هو الذي يجعل الناس يرفقون به، وستفعل ما يحلو لك، ومع ذلك فالكلام معك غير مجدٍ، ومع ذلك سأقص عليك شيئًا مماثلًا لقصتك، فقد حدث لي شخصيًّا عندما أقلعت إلى إقليم مناجم الملك ذاهبًا إلى البحر في سفينة ذرعها ١٢٠ طولًا و٤٠ عرضًا، وكان فيها ١٢٠ بحارًا من نخبة مصر؛ وكانوا يتعرَّفون السماء، وكانوا يتعرفون الأرض، وكانت قلوبهم أثبت من قلوب الأسود، وكانوا يتنبئون بالعاصفة قبل أن تحدث، والزوبعة قبل أن تمر، وقد هبت عاصفة ونحن ما زلنا في البحر، وقبل أن نصل إلى الأرض، وقد قامت الريح فضاعفت من شدتها، وجاءت موجة ارتفاعها ثمانية أذرع، وقد حُملت من على سطح السفينة مع السارية.

وبعد ذلك غرقت السفينة، ولم يبقَ غير واحد من بين الذين كانوا فيها، وقد رمت بي موجة إلى جزيرة، وقد قضيت ثلاثة أيام وحيدًا، ولم يكن لي رفيق غير قلبي، ونمت في خباء من الخشب، واحتضنت الفيء، ثم وقفت على قدمي لأجد ما يمكن أن أضعه في فمي، فوجدت تينًا وعنبًا هناك، وكل أنواع الخضر الجميلة، وكان هناك فاكهة «كاو» و«نكوت» وخيار كأنه مزروع، وكان هناك سمك وطيور، ولم يكن هناك شيء لا يوجد فيها، وعندئذ أشبعت نفسي، وتركت بعضها على الأرض؛ لأن حمله كان ثقيلًا على ذراعي، ثم أخذت زنادًا وأوقدت نارًا لنفسي، وقدمت قربانًا مشويًّا للآلهة.

وبعد ذلك سمعت صوت رعد، وظننت أنها موجة بحر، فتكسرت الأشجار وزلزلت الأرض، ولما كشفت عن وجهي وجدت أنه ثعبان يقترب مني، وكان ذرعه ثلاثين ذراعًا طولًا، ولحيته تزيد طولها على خمسة أذرع، وكان جسمه مرصعًا بالذهب وحاجباه من خالص اللازورد، وقد كان غاية في العقل، ثم فغر فاه لي حينما كنت ملقى على بطني أمامه وقال لي: من أحضرك إلى هنا؟ من أحضرك إلى هنا أيها الصغير؟ من أحضرك هنا؟ وإذا تأخرت عن إجابتي عمن أحضرك إلى هذه الجزيرة جعلتك لا تجد نفسك إلا ترابًا، وتصير كالذي لم يكن قد رئي.» فأجبت: «إنك تتحدث إليَّ ومع ذلك لم أسمع ما تقول: إني في حضرتك ولكن حواسي قد ذهبت.»

وبعد ذلك أخذني في فمه، وأحضرني إلى حجره، ووضعني دون أن يلمسني، وكنت صحيحًا ولم يمزق شيئًا مني؛ وفغر فاه لي عندما كنت ملقى على بطني أمامه وقال

لي: «من أحضرك إلى هنا؟ من أحضرك إلى هنا أيها الصغير؟ من أحضرك إلى جزيرة البحر هذه التي يحيط بها الماء من الجانبين؟» وقد أجبته وذراعاي مثنيتان في حضرته وقلت له: «إني فرد ذهبت إلى المناجم في أمر للملك في سفينة ذرعها ١٢٠ طولًا و٤٠ عرضًا وكان فيها ١٢٠ بحارًا من نخبة مصر، وكانوا يتعرَّفون السماء، وكانوا يتعرفون الأرض، وكانت قلوبهم أثبت من قلوب الأسود، وكانوا يتنبئون بالعاصفة قبل أن تحدث، والزوبعة قبل أن تكون، وكان كل واحد منهم شجاع القلب قوي الساعد أكثر من زميله، ولم يكن بينهم أحمق، وقد هبت عاصفة ونحن لا نزال في البحر قبل أن نصل إلى الأرض، وقد قامت الريح فضاعفت من شدتها وجاءت موجة ارتفاعها ثمانية أذرع، وقد حُملت من على سطح السفينة مع السارية؛ وبعد ذلك غرقت السفينة بمن كانوا فيها، ولم يبقَ غيري، وتأمل! فإني هنا بجانبك وقد أحضرت إلى هذه الجزيرة بموجة البحر.»

وعندئذ قال لي: «لا تخف، لا تخف، أيها الصغير، ولا تدَع محياك يصفر ما دمت قد جئت إليَّ، انظر! لقد حفظك الله حيًّا ليحضرك إلى جزيرة الطعام «الوفير» التي ينمو فيها كل شيء؛ لأنها مفعمة بكل شيء حسن، وانظر! ستمضي الشهر بعد الشهر في هذه الجزيرة إلى أن تتم أربعة أشهر، ثم تأتي سفينة من مقر الملك تحمل بحارة تعرفهم، وستذهب معهم إلى مقر الملك، وتموت في نفس بلدك، ما أشدَّ فرحة الذي يقص ما جرى له بعد أن تمر الكارثة! وهكذا سأقص عليك شيئًا مماثلًا لهذا، قد حدث في هذه الجزيرة، وذلك أنني كنت فيها مع إخوتي وأطفالي في وسطهم، وكان كل عددنا ٧٥ ثعبانًا؛ أولادي وإخوتي، هذا غير بنت امرأة مسكينة قد أحضرت إلي ... ثم انقض شهاب فذهب هؤلاء في النار بسببه (أي الشهاب).

وقد حدث ذلك وأنا لست مع المحرقين (؟)، ولم أكن بينهم، وقد كدت أموت من أجلهم عندما وجدتهم كومة من الجثث.

فإذا كنت شجاعًا فاكبح جماح قلبك، على أنك ستضم أطفالك، وتقبِّل زوجتك وترى منزلك، وهذا أحسن من كل شيء، وستصل إلى مقر الملك، وتسكن هناك في وسط أولادك.»

وعند ذلك ألقيت بنفسي على بطني ولثمت الأرض في حضرته، وقلت له: «سأتحدث للملك عن قوتك وأعلمه بعظمتك، وسأعمل على أن يجلب إليك «أبي» و«حكنو» و«أدنب» و«خسايت» وكذلك بخور المعابد التي يسر لها كل إله، وسأقص ما حدث لي وما قد شاهدت ... وستشكرني المدينة أمام ضباط الأرض كلها، وسأذبح لك ثيرانًا قربانًا مشويًّا، وأضحي لك الإوز، وسأرسل لك سفنًا محملة بكل بضائع مصر الثمينة، كما يجب أن

يُفعل لإله يحب الناس في أرض نائية لا يعرفها الناس.» عند ذلك ضحك مني ومما قلت، كأن ذلك الذي قلته سخافة وقال لي: «ليس عندكم «عنتيو» بكثرة، ولا تملكون إلا البخور، ولكني أمير «بنت»، والمرُّ متاعي الخاص، أما من حيث «حكنو» الذي تقول عنه إنك ستجلبه إليَّ فهو أهم حاصلات هذه الجزيرة، ولكن الواقع أنك لن ترى هذه الجزيرة قط بعد سفرك؛ لأنها ستصير ماء.»

وبعد ذلك أتت هذه السفينة كما تنبأ، وذهبت وتسلقت شجرة طويلة، ورأيت أولئك الذين كانوا فيها، وذهبت لأخبره، فعلمت أنه عرف ذلك من قبل، وقال لي: «بسلام بسلام للوطن، أيها الصغير، وشاهد أطفالك، واجعل لي اسمًا حسنًا في مدينتك، اسمع فإن هذا هو كل ما أبغي.»

وعندئذ ألقيت بنفسي على بطني، وأثنيت ذراعي في حضرته، وأعطاني حمولة «مر» و«حكنو» و«أدنب» و«خسايت» و«تشبس» و«شاس»، وكحل، وذيول زرافات، وكمية عظيمة من البخور، وسن فيل، وكلاب صيد، وقردة ونسانيس، وكل الذخائر الجميلة، وأنزلتها في هذه السفينة.

ولما ألقيت بنفسي على بطني لأشكره قال لي: «انظر! ستصل إلى الحاضرة بعد شهرين، وستضم أولادك في حضنك، وتصير شابًّا ثانية في مقر الملك ثم تدفن.»

وذهبت إلى الساحل حيث كانت هذه السفينة، وحَييت الفرقة التي كانت في هذه السفينة، وأثنيت على رب هذه الجزيرة على الساحل، وكل من كان في السفينة فعل كذلك.

ثم سحنا شمالًا إلى حاضرة الملك، ووصلنا إلى العاصمة في شهرين كما قال، ومثلت أمام الملك، وقدَّمت له هذه الذخائر التي أحضرتها من الجزيرة، وقد شكرني أمام كل ضباط الأرض قاطبة، وعُينت حاجبًا وكافأني ببعض حشمه (؟).

انظر إليَّ بعد أن وصلت إلى الأرض، وبعد أن شاهدت ما لاقيته، اسمع لما أقول انظر إنه من الخير للناس أن يصغوا.

فقال لي: «لا تلعبن دور الحكيم يا صديقي! فإن ذلك كالذي يعطي الطائر عند الفجر ماء وسيذبحه مبكرًا في الصباح؛ أي إني مقضي عليَّ بالموت عندما أقابل الفرعون، وعلى ذلك فإن كلامك المطمئن لا فائدة منه لي.»

(١-٥) بلاد النوبة ونشاطه فيها

وكان نشاط هذا الفرعون في بلاد النوبة لا يقل عن نشاطه في الجهات الأخرى، فقد ترك لنا مساعد خزانته المسمى «ساحتحور» الذي أسلفنا ذكره نقشًا: (British Museum, No. 569; Breasted, "A. R." Vol. I, Par. 599) يعطينا فكرة عن نشاط هذا الفرعون في جهات مختلفة وبخاصة في بلاد النوبة لاستخراج الذهب؛ إذ يقول: «إن الملك «نب كاو رع» «أمنمحات الثاني» قد أرسلني مرات عدة للقيام بكل أنواع البعوث الهامة التي أراد الفرعون أن تتم حسبما يصبو إليه قلبه، فأعطى الأوامر بأن أبعث إلى هرمه المسمى «خرب» الواقع في دهشور؛ لأشرف على عمل الستة عشر تمثالًا لذاته من الحجر الصلب، وقد نفذ هذا العمل في مدة شهرين إلا يومًا، على أنه لم ينجز مثل هذا العمل (بمثل هذه السرعة) على يد أي موظف، وقد زرت مناجم «سينا» وأنا لا أزال شابًّا، وقد أجبرت رؤساء «إقليم مناجم الذهب» أن يغسلوا الذهب لي، واستحوذت على الفيروز من «سينا»، وقد اخترقت بلاد السود وذهبت إليهم وهزمتهم برهبة الملك، وقد وصلت إلى أرض «حح» (سمنة)، وسرت حتى وسط جزرها وأحضرت معي من منتجاتها»، ويلاحظ هنا أنه ليس من السهل تحديد موقع مكان «حح» ولكن «ويجول» (History, Vol. II, P. 75) يقول: إن الحملة إلى بلاد النوبة في عهد الفرعون السابق قد جعلت الشلال الثالث تحت سلطان المصريين؛ ولذلك يظن الإنسان أن الإقليم الذي وصل إليه «ساحتحور» يحتمل أن يكون بالقرب من «أرجو» Argo وجزائرها ونحن نعلم من جهة أخرى أن الإله «حور» الذي كان يُعبد في أرض «حح» في عهد الأسرة التاسعة عشرة كان يُعبد في «أبو سمبل» ومن ثم يظن أن «حح» كانت قريبة من هذا المكان، غير أن نقوش «ساحتحور» تشير صراحة إلى أن «حح» كانت في الجنوب الأقصى، بل كانت تقع بعد النفوذ المصري في السودان، ومن المحتمل جدًّا أن تكون هذه البعثة هي ما تشير إليها النقوش التي عثر عليها مدونة على صخرة في «دهميت» ببلاد النوبة السفلية، وقد ذُكر فيها اسم «أمنمحات الثاني» وهي مؤرَّخة بالسنة الثالثة من حكمه، أو هي التي يشير إليها نقش آخر وجد في «آمادا» ومؤرخ بالسنة الخامسة من عهد هذا الفرعون أيضًا (Weigall, "Lower Nubia", Pl. XVIII).

ومما هو جدير بالذكر في هذه المناسبة اللوحة التي عثر عليها في «دابود» (على مسافة ١٨ كيلومترًا جنوبي أسوان) وهي محفوظة الآن بمتحف برلين.

(L. D. Vol. II, Pl. 123 b).

وتنحصر أهميتها في تحديد العصر الذي أنشئت فيه هذه البلدة لحماية الحدود المصرية من غارات سكان الجنوب، وتنسب إلى هذا العهد.

(أ) علاقة مصر ببلاد آسيا في عهد هذا الفرعون

أما علاقة مصر ببلاد «فينيقية» (ببلوص = جبيل) و«سوريا» في عهد ملوك الأسرة الثانية عشرة، فإن ظواهر الأمور تدل على أنها كانت على أحسن ما يكون من الود والصفاء، وبخاصة في عهد هذا الفرعون؛ إذ عثر فعلًا في جبيل (ببلوص) على نقوش مصرية قديمة ذُكر فيها اسم شخصية مصرية عظيمة تحمل لقب الأمير الوراثي «حاتي عا»، كما أن اسمه ونسبه يدلان على أنه من أصل مصري بحت، وهذه الوثيقة يرجع عهدها بلا شك إلى الأسرة الثانية عشرة، ولا نزاع في أن تاريخها يرجع إلى ما قبل عهد حكم الفرعون «سنوسرت الثالث»؛ ونحن نجهل الآن مدى بقاء هذه السيادة المصرية على بلاد «فينيقية»، ولكن المؤكد أن النفوذ المصري كان عظيمًا فيها في خلال عهد الأسرة الثانية عشرة حتى ختامها — وقد كُشف حديثًا عن أشياء تدل على أن توطيد العلاقات بين مصر و«فينيقية» كانت على خير ما يكون.

(ب) كنز طود وأهميته

فقد كُشف في بلدة «طود» عام ١٩٣٦ عن كنز في أساس معبد يرجع عهده إلى الأسرة الثانية عشرة من عهد الفرعون «أمنمحات الثاني»، ويشتمل على أربعة صناديق من البرنز نُقش عليها اسم الفرعون «أمنمحات الثاني»، وقد وجدت كلها مملوءة بأوانٍ من الذهب والفضة يربي عددها على مائتي آنية، وكذلك وجد من بين محتوياتها سبائك من الذهب والفضة وكمية عظيمة من الخرز والأسطوانات «البابلية» والتعاويذ المصنوعة من اللازورد وقطع من اللازورد الغفل، ولا شك في أن هذه الأواني من الصناعة «الإيجية» المحضة، أما الأشياء المصنوعة من اللازورد فهي صناعة «بابلية».

(Depot Asiatique Trouvé à Tod, Bisson dé la Roque, “Tod” (1934–1936) Le Caire, 1937, PP. 113 ff.)

ولما كانت ظواهر الأحوال تدل على أن العلاقات بين مصر في عهد «أمنمحات الثاني» والبلاد الأجنبية كانت علاقات صداقة وود، وبخاصة بين هذا الفرعون و«آسيا» فإنه من

المستبعد أن تكون هذه التحف قد أتت إلى مصر عن طريق الغزو، بل يحتمل جدًّا أنها كانت جزية فرضها الفرعون على أمير «ببلوص» (جبيل) سواء أكان أميرًا من أهل البلاد نفسها أم أميرًا مصريًّا قد وضعه الفرعون حاكمًا عليها من قِبله.

(١-٦) محافظته على مباني أسلافه

أما عن أعمال هذا الفرعون الإنشائية في البناء، فيدل ما كُشف من النقوش حتى الآن على أنه لم يقُم بإنشاء مبانٍ عظيمة؛ إذ لم نعثر له إلى الآن على معابد باقية، ولكن من جهة أخرى يظهر أنه كان شديد المحافظة على المباني العظيمة التي تركها أسلافه، وقد كان يسهر على إصلاح ما تخرَّب منها، ولدينا وثائق تشير إلى ذلك مباشرة، ونخص بالذكر الوثيقة الرسمية التي تركها لنا «خنتمسميتي». (British Museum No. 574; Breasted, A. R., Vol. I, Par. 608).

وهو خادم الفرعون المقرَّب لديه، «سكرتير» ملابسه، فيقص علينا: «لقد وضعني الفرعون عند قدميه وأنا صبي، وكان اسمي يُتحدث عنه قبل أقراني، وكان جلالته يحبني، ويُظهر دهشته لعملي الطيب، وكنت أُمدح كل يوم أكثر من اليوم السابق، وكنت موضع ثقة الملك الحقيقية، وكان جلالته يقبل تزلفاتي، وعندما كان موظفو «البلاط» يصطفون في أماكنهم «حسب درجاتهم» كانت مكانتي أمامهم ... وكنت كاهن تاج الجنوب وتاج الشمال، وكنت خادم الملابس الملكية، وملبسًا «التاج الذي اسمه» «عظيم في السحر»، وقابضًا على التاج في القصر ... ولما أصبحت في المقدمة أمام جلالته كلفني أن أقوم بالتفتيش على الكهنة، وأقضي على العمل الخبيث، وأُحسن حالة عملهم في كل الأمور المقدسة. وذهبت حسب أوامر «الملك» إلى «إلفنتين»؛ وقدمت خضوعي أمام إله الشلال «خنوم»، وعدت بالطريق الذي ذهبت منه، ورسوت عند «العرابة» حيث أقمت هذه اللوحة التي تحمل اسمي عند المكان الذي يسكن فيه «أوزير» أول أهل الغرب ورب الأبدية، وحاكم الغرب، والذي يطير إليه كل كائن لما فيه من فائدة في وسط أتباع سيد الحياة، لأجل أن آكل رغيفه، وأخرج نهارًا (من قبره)؛ ولأجل أن يتمتع روحي باحتفالات القوم الذي يتشفعون بقلوبهم إلى قبري وبأيديهم إلى لوحتي؛ وذلك لأني لم أفعل «شرًّا»، ولأجل أن يكون الإله عطوفًا عليَّ عند الحساب حينما أكون هناك في «الآخرة»، وحتى

يكون في مقدوري أن أعمل بوصفي روحًا في الجبانة المنحوتة في الصحراء، وحاكمًا للأبدية، وحتى يمكنني أن أحرك السكان وأتمكن من النزول في القارب المقدس «نشمت» وأشم الأرض (ألثمها) أمام الإله «وبوات» خنتمسميتي «المرحوم سيد الاحترام».

(أ) المباني

لم نعثر حتى الآن على مبانٍ عظيمة في المدن الهامة مثل «تانيس» و«تل بسطة» لهذا الفرعون، ولكن وجدنا له بقايا من مبانٍ في مواقع ليست ذات شأن عظيم، ويظهر أنه كان أول من زينها بالمباني، ففي «دهدمون» الواقعة بالقرب من «فاقوس» عثر على مذبح من الجرانيت باسمه، وجده عربي من سكان هذا المركز وبيع لمتحف الجيزة، وهو من الجرانيت الأحمر المخطط، جميل الصنع دقيقه (A. Z, Vol. 22, P. 2)، وكذلك عثر في نفس الإقليم في «نبيشة» على بقايا مذبح آخر من الجرانيت الأسود لهذا الفرعون؛ غير أنه قد أضيف عليه كتابة هامة أخرى لحامل خاتم من عصر متأخر (Petrie, Tanis, Vol. II, Pl, IX, 1)، وكذلك عثر على عتبة باب في «منف» باسمه (Petrie, "Memphis" II, P. 14, Pl. XXIII) مصنوعة من الجرانيت.

(٢) الإدارة

والظاهر أن هذا الفرعون كان حازمًا في إدارة شئون البلاد الداخلية، ومسيطرًا على حكام الأقاليم الوراثيين؛ فقد ذكر لنا «خنوم حتب» ابن «نحري» أمير مقاطعة الغزال في نقوشه التي على قبره في «بني حسن» أن الملك «نب كاو رع» «أمنمحات الثاني» قد ولاه منصب والده في السنة التاسعة عشرة من حكمه في الجهة المسماة «منعات خوفو»، ثم يصف لنا بعد ذلك في هذه النقوش المؤسسات الدينية التي أقامها لوالده للاحتفال بالأعياد المختلفة، وكذلك ذكر لنا أن ابنه قد رقي حاكم مقاطعة «ابن آوي» المتاخمة لمقاطعته، وأن الفرعون قد عين الحدود بنفسه، وبهذه المناسبة نذكر أنه قد نقش على مقابر «بني حسن» تاريخ أسرة أمراء مقاطعة الغزال، ولا بد من أن نشير هنا إلى شجرة نسب هذه الأسرة العريقة بالنسبة لحكم هذا الفرعون، حتى يعلم القارئ كيف تغلغل نفوذ الأمراء الوراثيين في المقاطعات، وأن عمل الملوك على نزع السلطة من أيديهم كان أمرًا عسيرًا يحتاج إلى نضال شديد مع حكمة وحزم.

ومؤسس هذه الأسرة «خنوم حتب» الذي لعب دورًا في تثبيت ملك «أمنمحات الأول» على عرش الملك، (انظر سنوسرت الثاني)، وهاك سلسلة النسب وسنتكلم عنها في حكم الملك «سنوسرت الثاني».

خنوم حتب الأول أمير منعات خوفو ومقاطعة الغزال

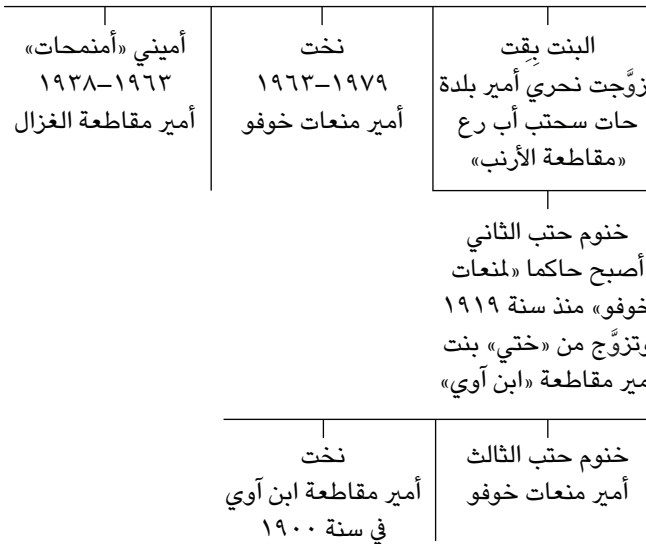

شكل ١

وهذه النقوش فضلًا عن أنها تمدنا بالحقائق السالفة فإنها قد دونت لنا الأعمال الصالحات لبعض الأمراء، مبينة لنا كيف كانت تؤسس الأوقاف الجنازية المعتادة، وكيف كانت توضع القربان أمام تماثيل الأجداد اتقاء إقامة أعياد خاصة، كما سبق شرحه عند الكلام على «زفاي حعبي».

(Breasted, A. R., Vol, I, Par. 619; Newberry, “Beni Hassan” Vol. I, Pls, XXV, XXVI) ... والواقع أن حكام المقاطعات كانوا فعلًا يعاملون الأهلين معاملة حسنة،

كما سنرى ذلك حتى نالوا محبتهم، وقد افتخر هؤلاء الأمراء بهذا إما بتدوينه كتابة أو بالمناظر التي كانوا يرسمونها على جدران مقابرهم، فمن ذلك المنظر الذي خلد ذكرى الأمير «تحوتي حتب» حاكم «مقاطعة الأرنب» في الأشمونين، وقد عاش هذا الأمير في عهد كل من «أمنمحات الثاني» و«سنوسرت الثاني» و«سنوسرت الثالث». وسنتكلم عنه في عهد هذا الأخير.

(٣) اشتراك سنوسرت الثاني في الحكم

وبعد انقضاء ثلاث وثلاثين سنة على الفرعون «أمنمحات الثاني» في الحكم أخذ يشعر بثقل السنين، ويئن تحت عبء الشيخوخة؛ ولذلك أشرك معه ابنه «سنوسرت الثاني» في حكومة البلاد، وكان يتراوح عمره بين الأربعين والخمسين؛ وبذلك أصبحت السنة الثالثة والثلاثون من حكم «أمنمحات الثاني» تقابل السنة الأولى من حكم «سنوسرت الثاني». ويؤكد لنا ذلك نقش وجد على الصخر عند الشلال الأول على مسافة ميل بعد الخزان الحالي وهو: «عمل في السنة الثالثة من حكم «سنوسرت الثاني» تعادل السنة الخامسة والثلاثين من حكم «أمنمحات الثاني» عندما حضر الموظف «حابو» ليفحص تحصينات بلاد النوبة السفلية (De Morgan, Cat. Mon. 25, No. 178; L. D. II, 123)، وقد بقي «سنوسرت» يشاطر والده الحكم سبعة أعوام قضى بعدها الفرعون المسن نحبه بعد أن حكم البلاد نحوًا من ثمانية وثلاثين سنة، ويعزي «مانيتون» موته إلى مؤامرة قامت ضده، وأن الذي قتله هم خدام قصره المقربون إليه، ولكن من الجائز بل من المعقول أن «مانيتون» قد خلط بين «أمنمحات الأول» و«أمنمحات الثاني» بعد أن برهنا على أن الأول قد مات غيلة على يد حراسه، وأن الملك الذي نحن بصدده الآن قد مات حتف أنفه استسلامًا للشيخوخة وحدها.

(٤) هرم الملك أمنمحات الثاني

وقد دفن أمنمحات الثاني في هرمه الذي أقامه في نقطة منعزلة في الصحراء على مسافة خمسة أميال جنوبي «سقارة» في «دهشور»، وعلى مسافة عشرة أميال شمالي «اللشت» حيث يوجد هرم والده. وكان صلب الهرم مبنيًّا من اللبن يغطيه كساء من الحجر الجيري وأحيط بردهة مسورة، وأطلق عليه اسم «خرب» وقد عرفنا ذلك عن لوحة لكاهن من كهنة الهرم نفسه (A. Z., Vol. XII, P. 112).

(٥) مقابر الأسرة الملكية ومحتوياتها

وقد وجد الهرم مخرَّبًا تمامًا منذ الأزمان القديمة، ولكن قد عوَّضنا عن ذلك بعض الشيء مقابر سيدات الأسرة المالكة التي أقيمت على مقربة من هذا الهرم، وقد أخطأتها يد اللصوص الأقدمين، غير أن اللصوص الأحداث قد تسربوا إليها، ورغم ذلك فإن ما بقي منها يقدِّم للعالم المتحضر تحفة فنية قديمة تعد من أهم ما عثر عليه حتى الآن في تاريخ الفن القديم، من حيث دقة الصنع وتناسب التركيب وحسن الذوق، ففي هذه البقعة عثر على مقبرة زوج الملك المسماة «كي نب» Keminub، وكذلك على مدافن أربع أميرات هنَّ «إتا» Ita و«إتاورت» Ita-wert و«خنمت» و«سات حتحور مريت»، والواقع أن يد النهب قد امتدت إلى كل مقبرة منها، ولكن لم يتمكن اللصوص من نهبها تمامًا؛ إذ قد أفلت من أيديهم مقدار عظيم من مجوهرات الأميرات. أما مقبرة الملكة «كي نب» فقد نهبت كلها ولم يبقَ منها إلا قطع من التابوت.

ووجد للأميرة «آتاورت» تابوت من الجرانيت الأحمر غاية في دقة النحت، وعثر في حجرة الدفن على بعض مواد حمراء أرجوانية اللون حول الجسم، وكذلك وجد معها أساور من ذهب وخرز من حجر صلب وطوق من ذهب وخرز، والصولجان العادي ومقمعة Mace وقوس وزخمة وفأس ونماذج أخرى من الخشب المذهب، ووجدت أواني الأحشاء في صندوقها، ويكاد يشبه مدفن «سات حتحور مريت» هذا المدفن الأخير.

أما مقبرة «إتا»[١] فكان مدفنها غنيًّا؛ إذ وجد فيه زيادة عن نظائره التي وجدت في المقبرتين الأخيرتين؛ خنجر ذهبي مقبضه من الذهب المرصع، وكذلك أساور ذات محابس من ذهب، وصقر من الكرنالين، وعلى الجسم وجدت زخرفة مؤلفة من قطع من الحجر وخرز ذهبي، هذا إلى نماذج آلات من النحاس واثنتان وثلاثون آنية من الفخار، ومجموعة من الأواني الخاصة بالزيوت المقدسة، ومجموعة الأواني الأربعة الخاصة بالأحشاء ذات رءوس بشرية ثلاثة منها لها لحى والرابعة مرداء.

[١] De Morgan, “Dahchour”, Vol. II, PP. 37, 75, 57, 68.

(٥-١) مجوهرات الملكة خنمت

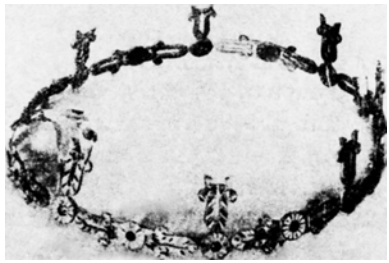

شكل ٢: تاج الملكة «خنمت» من الذهب المرصع بالأحجار نصف الكريمة.

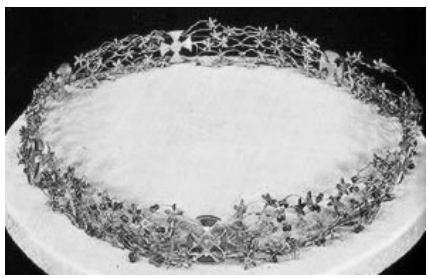

شكل ٣: تاج الملكة «خنمت» من الذهب محلى بزهيرات.

أما مدفن «خنمت» فهو أغنى هذه المدافن جميعًا، ويحتوي على أشياء مماثلة للأشياء التي وجدت في مقبرة «إتا» إلى تاجين وُجدا معًا، واحد منهما من الذهب الخالص المرصع بالأحجار نصف الكريمة، والثاني مؤلف من أسلاك من الذهب محلًّى بزهيرات مرصعة بحجر الكرنالين، وهذا التاج يكاد يكون أحسن قطعة فنية وصل فيها الصائغ المصري إلى محاكاة الطبيعة قدَّمها لنا الفن القديم. ومن المدهش أنه كشف في هذه المقبرة حلي رائع أجنبي الصنع على شكل نجوم ودوائر صغيرة مقسمة، ومع هذا عثر كذلك

على أقراص من الزجاج المنمق تمثل عجلًا، ولا نعلم حتى الآن على وجه التأكيد من أي جهة أجنبية جاءت إلى مصر هذه الصناعة الدقيقة، هذا ويرجح بعض علماء الآثار أنها صناعة متأثرة بالفن «الكريتي» الذي كان قد بدأ يزدهر في هذا العصر. وسنرى في حكم خلف هذا الفرعون أنه عثر على كنز آخر من المجوهرات للأميرة «سات حتحور» عثر عليه السير «فلندرز بتري» عام ١٩١٤ في «اللاهون»، وتعتبر بعض قطعه أدق صنعًا من التي كُشف عنها في عصر «أمنمحات الثاني» الذي نحن بصدده.

(أ) القيمة الفنية لمجوهرات الملكة خنمت

وبدهي عندما نشاهد مثل هذه الدقة الفنية في وضع المجوهرات أن نعترف بأن المصري الذي عاش في عهد الدولة الوسطى؛ أي منذ ٤٠٠٠ سنة خلت تقريبًا؛ قد صعد في بعض نواحي حياته في مدارج الرقي والمدنية حتى وصل إلى ما وصل إليه رجل القرن العشرين من حيث الإنتاج الفني الذي ينم عن حسن الذوق، وفي الحق إذا كان منتهى الذوق السليم يعبر عنه بالجمال والمهارة، ويظهر في المقدرة على التأليف الرائع بين الشكل واللون محاكاة للطبيعة، وإذا كان هذا هو المعيار والمحك للثقافة العالية التي بلغتها الأمة، فإن كثيرًا من ثقافتنا الحاضرة يتضاءل عندما يقرَن بثقافة المجتمع الذي كان ينتج صناعة مثل مجوهرات «دهشور»، وهو ذاك المجتمع الذي كان يضم بين جنبيه مفتنين وصناعًا يخرجون للعالم مثل هذه التحف المنقطعة النظير. ولا نكون مغالين إذا قلنا إذن إن مجوهرات «دهشور» لشاهد عدل على وجود مجتمع لا يقل عن مجتمعنا الحالي إن لم يكن أرقى منه في الذوق الفني، يضاف إلى ذلك أن أحواله المعيشية كانت تجمع بين الثقافة والرخاء والرشاقة والتهذيب إلى درجة لم تصل إلى مثلها مصر إلا نادرًا في أي عصر آخر من عصور حضارتها.